مختصر القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور:

- أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.
- الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.
- الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

وإن دلت على وصف غير متعد تضمنت أمرين:

- أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.
- الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنتها لله عز وجل.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

- الأول: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام.
- الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين.
- الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه.
- الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام.

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية.

- الصفات الثبوتية: هي ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.
- الصفات السلبية: هي ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر.

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية.

- الصفات الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.
- الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين؛ أحدهما: التمثيل، والثاني: التكييف.

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها.

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها.

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه. وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقا يليق بالله عز وجل، وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والذين لا يَصْدُقُ لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

  وهذا هو المذهب الصحيح والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين:

  الأول: أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة، كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

  الثاني: أن يقال: إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف، أو فيما قاله غيرهم. والثاني باطل، لأنه يستلزم أن يكون السلف إما جاهلين بالحق، وإما عالمين به لكن كتموه، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.
- القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، وأبقوا دلالتها على ذلك. وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل، محرم من عدة أوجه:

  الأول: أنه جناية على النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.

الثاني: أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما ؟.

الثالث: أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها، فيكون باطلاً.

- القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله. وهم أهل التعطيل. ومذهبهم باطل من وجوه:

الوجه الأول: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الوجه الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره. إذْ يجب حمل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره المفهوم باللسان العربي.

الوجه الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم.

الوجه الرابع: أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس: أن تسأل المعطل عن العلم والصدق والفصاحة والإرادة بالنسبة لما جاء في القرآن الكريم. ثم بعد ذلك تسأله عن ذلك كله بالنسبة لما جاء في السنة. وبعد أن يقر بذلك كله يقال له:

إذا كنت تقر بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ فتأخذ بما جاء في الكتاب والسنة إثباتا ونفيا.

أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة: {مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} ؟. أو ليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك؟!. فلعل المراد يكون -على تقدير جواز صرفها- غير ما صرفتها إليه.

الوجه السادس: أنه يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم. فمن هذه اللوازم:

- أولاً: أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر، لأنه تكذيب لقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.
- ثانيا: أن كتاب الله تعالى الذي أنزله تبيانا لكل شيء، لم يبين الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنما جعل ذلك موكولاً إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاؤن، وينكرون ما لا يريدون.
- ثالثا: أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات، أو يمتنع عليه، أو يجوز.
- رابعا: أن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ليس مرجعا للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم، وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة.
- خامسا: أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأن إسناد بعض الأفعال إلى الله مجاز عندهم. وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه ونفي ما أثبته الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أبطل الباطل.

تنبيه: يتبين من دراسة القواعد السابقة أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل:
أما تعطيل المعطل فظاهر، وأما تمثيله: فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فمثل أولاً، وعطل ثانيا، كما أنه بتعطيله مَثَّلَهُ بالناقص.
وأما تمثيل الممثل فظاهر، وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:
الأول: أنه عطل نفس النص الذي أُثبتت به الصفة، حيث جعله دالاً على التمثيل، مع أنه لا دلالة فيه عليه، وإنما يدل على صفة تليق بالله عز وجل.
الثاني: أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.
الثالث: أنه عطل الله تعالى عن كماله الواجب، حيث مثله بالمخلوق الناقص.

فصل: كيفية الرد على الشبهة[1] التي أوردها أهل التحريف على أهل السنة

يجاب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: مجمل[2] ومفصل[3].
أما المجمل: فيتلخص في شيئين:
الأول: أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها.
الثاني: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً، وإما منفصلاً.
وأما المفصل: فعن كل نص ادُّعِيَ أن السلف صرفوه عن ظاهره.
والأمثلة التي أجاب عنها الشيخ جوابا مفصلا هي:
المثال الأول: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض".
المثال الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: "قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن".
المثال الثالث: قوله صلى الله عليه وسلم: "إني أجد نَفَسَ الرحمن من قبل اليمن".
المثال الرابع: قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}.
المثال الخامس والسادس: قوله تعالى في سورة الحديد: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}، وقوله في سورة المجادلة: {وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلك وَلا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا}.
بَسَطَ الشيخ -رحمه الله- القول في معية الله عز وجل فقال: ''وتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

- الأول: أنه مخالف لإجماع السلف. فما فسرها أحد منهم بذلك، بل كانوا مجمعين على إنكاره.
- الثاني: أنه مناف لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف.

1 هذه الشبهة: هي ادعاء أهل التعطيل أن أهل السنة صرفوا بعض النصوص عن ظاهرها، ليلزموا أهل السنة بالموافقة على التأويل، أو المداهنة فيه.
2 قال الشيخ -رحمه الله- في الشرح: الجواب المجمل: هو عبارة عن قاعدة عامة تصلح للجواب عن جميع المسائل، وهو أفيد لطالب العلم.
3 قال الشيخ -رحمه الله- في الشرح: الجواب المفصل: يكون عن كل مسألة بعينها، وهو أبلغ في إفحام الخصم وإدحاض حجته.

- الثالث: أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه تعالى[4].''. ا هـ باختصار.

ثم قال -رحمه الله-: ''واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى لذاته على عرشه، وذلك من وجوه ثلاثة:

- الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.
- الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق.
- الثالث: أنه لو فُرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعا في حق الخالق.''. ا هـ باختصار.

تتمة: انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يقولون: إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته، واستوائه على عرشه. وهؤلاء هم السلف. ومذهبهم هو الحق.

القسم الثاني: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع نفي علوه واستوائه على عرشه.

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم. ومذهبهم باطل منكر.

القسم الثالث: يقولون: إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع ثبوت علوه فوق عرشه. وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقضي ما ادعوه من الحلول، لأنه باطل.

المثال السابع والثامن: قوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}، وقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ}.

المثال التاسع والعاشر: قوله تعالى عن سفينة نوح: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}، وقوله لموسى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}.

المثال الحادي عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه".

المثال الثاني عشر: قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: "من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة".

المثال الثالث عشر: قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً}.

المثال الرابع عشر: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}.

المثال الخامس عشر: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يارب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟. قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟. يابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني. قال: يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟. قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟. يابن آدم، استسقيتك فلم تسقني. قال: يارب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

4 من هذه اللوازم الباطلة أن يكون الله سبحانه وتعالى معنا في أماكن النجاسات وقضاء الحاجة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

خلاصة القول في معية الله لخلقه[5]

1. أن معية الله تعالى لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.
2. أنها حق على حقيقتها على ما يليق بالله تعالى، من غير أن تشبه معية المخلوق للمخلوق.
3. أنها تقتضي إحاطة الله تعالى بالخلق علما وقدرة وسمعا وبصرًا وسلطانا وتدبيرًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، إن كانت المعية عامة، وتقتضي مع ذلك نصرًا وتأييدًا وتوفيقا وتسديدًا إن كانت خاصة.
4. أنها لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطا بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، ولا تدل على ذلك بوجه من الوجوه.
5. إذا تدبرنا ما سبق علمنا أنه لا منافاة بين كون الله تعالى مع خلقه حقيقة وكونه في السماء على عرشه حقيقة.

سبحانه وبحمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

5 هذه الخلاصة ذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى- في ختام الكلمة التي نشرها في "مجلة الدعوة" السعودية، وهي التي ألحقها رحمه الله بهذا الكتاب.